

مقدمة:

شهدت الصناعة المصرفية الإسلامية في السنوات الأخيرة نشاطا متميزا في قطاعي التمويل والاستثمار الملتزمين بمبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية، إضافة إلى الاهتمام بجانب الخدمات المصرفية ومواكبة التطور العلمي والتكنولوجي لتطوير أدائها، كما شهدت بعد الازمة المالية العالمية مزيداً من الاهتمام النوعي والفكري واستقطبت اهتمام الخبراء ورجال الاقتصاد بل والسياسيين وغيرهم للتأمل في اسسها والاستفادة من المبادئ التي تقوم عليها. فهي نشأت في مجتمعات تطبق وتتعامل مع نظم مصرفية تقليدية مما فرض عليها نوعا من التحدي بالشكل الذي يقلل من ارتفاع درجة المخاطرة والسعي لكسب حصة أكبر من السوق المصرفي. ويقدر خبراء مصرفيون حجم المصرفية الإسلامية في العالم بحوالى 1.5 ترليون دولار، متوقعين أن يصل بحلول عام 2015 ما يقارب 2.1 ترليون بنسبة نمو 30 في المئة.

وفي ظل اقتصاد المعرفة أصبحت المعرفة من أهم الأصول الرئيسية لأي نمو اقتصادي أو اجتماعي، ومنه تحول العالم من البحث و التصادم من أجل مصادر الموارد النادرة إلى البحث و التصادم من أجل السيطرة على أكبر قدر ممكن من مصادر المعرفة. وهذا يعني أن المعرفة في هذا الاقتصاد تشكل مكونا أساسيا في العملية الإنتاجية كما في التسويق، وأن النمو يزداد بزيادة هذا المكون القائم على تكنولوجيا المعلومات والاتصال باعتبارها المنصة الأساسية لهذا الاقتصاد. ومن هنا تنبع أهمية رأس المال الفكري من كونه أكثر الأصول قيمة حاليا إذ انه يمثل القوى الفكرية العلمية القادرة على تطوير وتقديم المشروعات. وأصبح أهم مكونات الثروة القومية وأعلى موجودات الشركات والمنظمات الأخرى.

وحتى تستطيع الصناعة المصرفية الإسلامية المنافسة وكسب حصة أكبر من السوق المصرفي العالمي فانها بحاجة الى وجود رأس مال فكري، يمتلك المعرفة التي تتسجم مع خصوصيتها في جانب العمل المصرفي وكذلك الضوابط الشرعية لفقه المعاملات المالية، ويتصف كذلك بامتلاك المهارات والقدرات التي تناسب طبيعة هذه المصارف؛ نظرا لحجم التحدي الذي تواجهه من جانب ومن جانب آخر حتى تكون قادرة على جذب المودعين وتقديم الخدمات المصرفية اللازمة لمعاملاتهم المالية والمنسجمة مع أحكام الشريعة الإسلامية، إضافة إلى قدرتها في البحث عن فرص الاستثمار المناسبة والتي تليبي رغبة المودعين. وفي هذا الإطار تأتي هذه الورقة لتبيان أهمية وحاجة المصارف الإسلامية لبناء رأس مال فكري يخدم رسالتها الخاصة ويحقق أهدافها. وتحاول هذه الدراسة إبراز ماهية وأهمية رأس المال الفكري ودوره الهام في تنمية وتطوير المصارف الاسلامية كمحاولة منها لإبراز الدور الهام الذي

يلعبه هذا النوع من رأس المال في رفع قيمتها ، و لتسليط مزيد من الضوء على هذا المفهوم بغية الحث على الاهتمام به و من ثم تطويره.وتأتي معالجة ذلك من خلال المحاور الأساسية التالية:

أولاً: خصوصيات العمل المصرفي الإسلامي.

ثانياً: مفهوم وأهمية رأس المال الفكري.

ثالثاً: أهمية رأس المال الفكري بالنسبة للمصارف الإسلامية.

الخلاصة.

أولاً: خصوصيات العمل المصرفي الإسلامي:

تتميز البنوك الإسلامية بعدد من الخصائص نرى من اللازم التذكير بها في هذا البحث لارتباطها بموضوعنا، ذلك أن العمل المصرفي الإسلامي كل متكامل لا يمكن الفصل بين عناصره، ومن أهم هذه العناصر خصائص العمل المصرفي الإسلامي، ومنها:¹

1- المرجعية الشرعية:

إن الأساس العام الذي قامت عليه المصارف الإسلامية يتمثل في عدم الفصل بين أمور الدين وأمور الدنيا، فكما يجب مراعاة ما شرعه الله في العبادة يجب مراعاة ما شرعه في المعاملات بإحلال ما أحله وتحريم ما حرمه، واعتماد الشريعة الإسلامية أساساً لجميع التطبيقات، واتخاذها مرجعاً في ذلك.وعليه يستمد العمل المصرفي الإسلامي قواعده وصيغته من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، بالإضافة إلى ما توصل إليه علماء الشريعة من اجتهادات، ما يعني أنه وجب على كل من أصبح ناشطاً في العمل المصرفي الإسلامي أن يرجع دائماً إلى تلك المرجعية التي تضمن عدم الانحراف عن الحدود الشرعية والوقوع في الحرام.

2- استبعاد التعامل بالفائدة:

¹ فارس مسدور، معايير اختيار العاملين لدى البنوك الإسلامية، متاح في

إن أول صفة تميز البنك الإسلامي عن غيره من البنوك أنه لا يتعامل بالفائدة أخذًا وعطاءً، وهذا نتيجة طبيعة التقنيات التمويلية التي يطبقها من جهة، و القاعدة الشرعية التي بني على أساسها البنك الإسلامي من جهة ثانية، والتي تحرم قطعياً هذه الفوائد التي اعتادت البنوك التقليدية التعامل بها أخذًا وعطاءً.

3- قاعدة الغنم بالغرم:

من مقتضيات العمل الإسلامي في التجارة ترقب الربح مع توجس الخسارة في الاستثمار، حيث يعد ذلك من طبيعة الحياة التجارية، كما أنه يعد من خصائص الاستثمار بالمشاركة والتي تقوم عليها غالبية استثمارات المصرف الإسلامي، وعلي ذلك فلا يجوز للمصرف الإسلامي اشتراط الربح أو ضمانه في استثماراته عملاً بالقواعد الفقهية الغنم بالغرم، الخراج بالضمان، إضافة إلى نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربح ما لم يضمن.

4-المشاريع الحلال:

إن أهم ما يتعين على البنك الإسلامي هو الالتزام بأحكام الشريعة الإسلامية في جميع أعماله ومعاملاته، ومن غير ذلك فلا وجود لبنك إسلامي دون مقومات وسبب لوجوده، ومن أهم هذه القواعد الالتزام في معاملاته بالحلال والابتعاد عن المجالات المحرمة والمشكوك فيها، ذلك أنه يستمد مشروعيته من الفكر الإسلامي الذي يجسده، ويخضع نشاطه لضوابط النشاط في الاقتصاد الإسلامي، والتقييد بأخلاقياته وآدابه في هذه المعاملات التي تمتد إلى كافة مجالات النشاط الإنساني التي يقوم البنك بالتعامل معها، فلا يمكن للبنك أن يقدم خدماته إلى أنشطة ومشاريع تدخل في دائرة الحرام لما فيها من أضرار خطيرة تلحق بالمجتمع.

5- الربط بين التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية:

البنك الإسلامي لا يربط بين التنمية الاقتصادية والتنمية الاجتماعية فقط، بل إنه يعد التنمية الاجتماعية أساساً لا تؤول التنمية الاقتصادية ثمارها إلا بمراعاهته، وهو بذلك يراعي الجانبين، ويعمل لصالح الجميع، فالبنك الإسلامي يجمع الزكاة، ويتولى مهمة توزيعها وإيصالها إلى مستحقيها من الأصناف الثمانية التي حددها القرآن الكريم، كما أنه يحاول رفع المستوى المعيشي للمجتمع، من خلال سياسته الاستثمارية، ويفتح أبواب الرزق أمام الجميع، وذلك من خلال المشاريع والمؤسسات الاقتصادية التابعة له.

ثانياً: مفهوم وأهمية رأس المال الفكري .

بدا الاهتمام برأس المال الفكري في المنظمات بداية من فترة الثمانينات حيث أكد المدبرون والأكاديميون والاستشاريون على مستوى العالم أن الأصول غير المادية في المنظمة — أي رأس المال الفكري — تعتبر محددًا أساسيًا لما تحققه المنظمة من أرباح، وفي

بداية التسعينات ظهرت بعض الكتابات التي تناقش فكرة رأس المال الفكري للمنظمة وهو الذي يحقق النجاح والربحية للمنظمة، حيث أشار الكثير من الباحثين إلى أن الأصول الرئيسة للعديد من المنظمات في ميدان إنتاج التكنولوجيا العالية لا تتمثل في الأصول المادية فقط ولكن في مهارات أفرادها وفي التراكم الفكري والمعرفي الذي تمتلكه هذه المنظمات.²

- ولرأس المال الفكري العديد من المصطلحات المرادفة التي تشير إلى نفس المعنى كالأصول غير المادية، الأصول المعنوية، رأس المال المعرفي، الأصول المعرفية، الأصول الفكرية، والموجودات المعرفية، ومن أهم تعاريف رأس المال الفكري نجد:³
- تعريف توماس ستيوارت (T. Stewart) الذي يعرفه بأنه المادة المعرفية الفكرية ، المعلومات ، الملكية الفكرية ، الخبرة التي يمكن وضعها في الاستخدام لتنشئ الثروة .
- تعريف ادفينسون (Edvinsson) رأس المال الفكري هو مضامين المعرفة، الخبرات العملية، التكنولوجيا التنظيمية، وعلاقات الزبائن والمهارات المهنية المقدمة والضرورية للمنافسة في السوق.
- كما يعرف رأس المال الفكري بأنه ” هو عبارة عن جزء من رأس المال البشري للمنظمة يتمثل فيما يملكه الأفراد من القدرات المعرفية والتنظيمية وغيرها ، تمكنهم هذه القدرات من إنتاج الافكار الجديدة أو تطوير أفكار قديمة والتي تمكن المنظمة – اذا إستطاع الوصول الى هذه المعرفة – من توسيع حصتها السوقية وتعظيم نقاط قوتها وتجعلها في موقع قادرة على اقتناص الفرصة المناسبة . ولا يتركز رأس المال الفكري في مستوى إداري معين دون غيره ” .⁴
- ويمكن تعريف رأس المال الفكري على أنه مجموعة من الأشخاص الذين يمتلكون المعارف والخبرات والمنجزات التي تمكنهم من الإسهام في أداء المنظمات التي يعملون بها؛ وبالتالي الإسهام في تطور مجتمعاتهم بل والعالم بأسره.⁵

² للتفاصيل حول نشأة رأس المال الفكري راجع: فاطمة على الرابعة، مستويات رأس المال الفكري في منظمات الأعمال: نموذج مقترح للقياس والتطبيق، مجلة النهضة، المجلد الثالث عشر، العدد الاول ، كلية الاقتصاد و العلوم السياسية جامعة القاهرة ، مصر، يناير 2012، متاح في :

<http://www.feps.edu.eg/en/publications/nahda/vol13/issue1/fatma.pdf>، ص 5-9

³ سلام عبد الرزاق، بوسهوه نذير، دور رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة، ملتقى استراتيجيات التنظيم ومرافقة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الجزائر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، 18 و 19 أفريل 2012، ص 4

⁴ عادل حرحوش المبرجى ، أ. أحمد على صالح ” رأس المال الفكري : طرق قياسه وأساليب المحافظة عليه ” ، المنظمة العربية للتنمية الإدارية ، 2003 ، ص 18 . مشار اليه عند شويح محمد ، دور الرأس المال الفكري في تنمية المنظمات، متاح في: <http://www.chouihmohamed.com/?p=90>

⁵ عبد الرحمان بن احمد هيجان ، راس المال الفكري أستراتيجيه التحول من الفئه العامة إلى الفئه المميزه ، 1427 هـ ، متاح في :

■ أن رأس المال الفكري عبارة عن صفوة العاملين الذين يمتلكون قدرات عقلية ومهارات بحيث يكونوا قادرين على الإبداع وإنتاج أفكار جديدة قادرة على المحافظة على وضع الشركة التنافسي، وزيادة إنتاجيتها، وتقليل الكلف، وتعظيم نقاط القوة داخل المنظمة، ولا يُشترط توفر شهادة أكاديمية في رأس المال الفكري ولا تتحدد في مستوى أداري معين ساعين من خلال ذلك لاقتناص الفرص والمحافظة على العملاء.⁶

ومن خلال ما تقدم من تعاريف سابقة لرأس المال الفكري نلاحظ التباين في توصيفه فمنهم من ركز على الميزة التنافسية، والأخر ركز على مستوى الإبداع، وثالث ركز على كونها تحافظ على منظمات الأعمال في أجواء المنافسة السائدة، ورابع أكد على قدرتها على إنتاج أفكار جديدة تعاضم من نقاط القوة واقتناص الفرص وقد اشتركت التعاريف بمجموعة مشتركات منها:⁷

- 1- التركيز على النخب ذات المؤهلات والقدرات العلمية والعقلية.
- 2- أن رأس المال الفكري هم الأشخاص الذين يمثلون ميزه تنافسيه يصعب إلى حد كبير إيجاد بديل عنهم.
- 3- يتكون من مجموعة من العاملين الذين يمتلكون قدرات معرفية وتنظيمية دون غيرهم.
- 4- يرمي إلى إنتاج أفكار جديدة أو تطوير لأفكار قديمة يمكن إن تساهم في المحافظة على وضع الشركة التنافسية.
- 5- يسعى إلى توسيع الحصة السوقية للمنظمة وتعظيم نقاط القوة.
- 6- يقود إلى خفض التكاليف وإمكانية البيع بأسعار تنافسية مع تحسين إنتاجية المنظمة.
- 7- يقود إلى زيادة القدرة الإبداعية وجذب العملاء وتعزيز ولائهم ولا يتركز في مستوى إداري معين دون غيره.
- 8- لا يشترط توافر شهادة أكاديمية لمن يعتبر ضمن رأس المال الفكري ولا يتحدد في مستوى وظيفي معين.

<http://abufara.net/index.php/2012-10-21-10-56-42/2012-10-21-10-57-16/33-2013-07-21-15-36-02/8-0000056>

⁶ صلاح هادي الحسيني، القيادة الإدارية وأثرها في إدارة الموارد البشرية استراتيجياً دراسة ميدانية في المنظمات الحكومية في محافظة الناصرية /العراق، رسالة مقدمة إلى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد في الأاكاديمية العربية في الدنمارك وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في إدارة الأعمال، 2009، ص 34

⁷ المرجع السابق، ص 34

فرأس المال الفكري هو المعرفة لكن أية معرفة؟ فقد يكون لأحد العمال ميول ادبية بحيث قد يتقن الشعر أو الزجل أو كتابة القصة ، ولكن هذه المعرفة قد لا تفيد. فالموهبة الأدبية لأحد عمال المصنع لا تقدم حلولاً للعملاء. فرأس المال الفكري هو المعرفة المفيدة للمشروع ، فإذا كان هذا ما العامل ذو الميول الدبية يعمل في دار نشر مثلاً فإن تلك المعرفة تعتبر رأسمالاً بشرياً. بالطبع في هذه الحالة تصبح مهارة العامل ذات قيمة عالية للمشروع .

إذا فرأس المال الفكري هو المعرفة التي يمكن توظيفها ، فالمعرفة لا تصبح رأس مال إلا إذا تم العثور عليها وتوظيفها بحيث يمكن استخدامها لصالح المشروع. فقد يكون لدى أحد عمال المصانع فكرة رائعة لتحسين الإنتاج، لكن لا يصبح لهذه الفكرة فائدة إذا بقيت داخل ذهن العامل ولم تخرج إلى حيز التطبيق فلا طائل من وراء أية معرفة دون وضعها موضع التطبيق. فرأس المال الفكري الذي لا يجد طريقه للتوظيف والممارسة هو بمثابة رأس مال مدفون ومهدر.

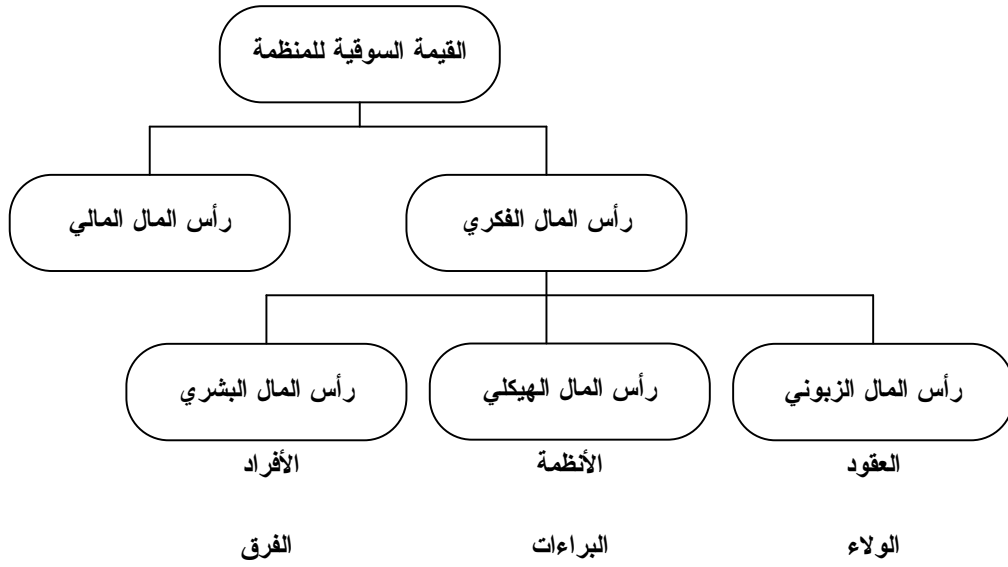
و تجدر الإشارة إلى أن هناك تسميات عديدة لرأس المال الفكري تتداولها أدبيات الموضوع كرأس المال الفكري ورأس المال اللاملموس ... الخ . وكل هذه التسميات يقابلها مفهوم رأس المال المادي أي أن الأصول الفكرية تقابلها الأصول المادية ويمكننا التفريق بين الاثنين من خلال الجدول التالي:

المقارنة بين رأس المال المادي ورأس المال الفكري		
البيان	رأس المال المادي	رأس المال الفكري
الميزة الأساسية	مادي ملموس	غير مادي - أثيري - غير ملموس
موقع التواجد	ضمن البيئة الداخلية للشركة	في عقول الأفراد العاملين في الشركة
التمثيل النموذجي	الألة ، المعدة ، المباني	الأفراد ذوي المعارف والخبرات
القيمة	متناقضة بالإنذار	متزايدة بالإبتكار
نمط خلق الثروة	بالإستخدام المادي	بالتركيز والإنتباه والخيال الواسع
المستخدمون له	العمل العضلي	العمل المعرفي
الواقع التشغيلي	يتوقف عند حدوث المشاكل	يتوقف عند حدوث المشاكل
الزمن	له عمر إنتاجي وتناقص بالطاقة	ليس له عمر مع تزايد في القدرات الإبداعية

المصدر: عبد الستار حسين يوسف، دراسة وتقييم رأس المال الفكري في شركات الأعمال، قسم إدارة الأعمال، كلية الإقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الزيتونة الأردنية، عمان، الأردن، 2005. ص 5

ولقد قدمت نماذج عديدة لمكونات رأس المال الفكري⁸، ولعل النموذج الذي قدمه توماس ستيوارت (T. Stewart) والذي يحدد مكونات رأس المال الفكري في ثلاث فئات هي رأس المال الهيكلي ، رأس المال البشري ، ورأس المال الزبوني، هو الأكثر شيوعاً واستخداماً لأنه يتضمن المكونات الأساسية لرأس المال الفكري، والشكل التالي يبين هذه المكونات الثلاث.

هيكل رأس المال ومكوناته



وعلى ذلك فرأس المال الفكري في المنظمات يتمثل في:⁹

⁸ للتفاصيل راجع:

- سلام عبد الرزاق، بوسهوه نذير، دور رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة، ملتقى استراتيجيات التنظيم ومرافقة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الجزائر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، 18 و19 أبريل 2012، ص ص 5-8
- عبد الستار حسين يوسف، دراسة وتقييم رأس المال الفكري في شركات الأعمال، قسم إدارة الأعمال، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الزيتونة الأردنية، عمان، الأردن، 2005، ص ص 5-9

1- العاملون في المنظمة والذين لديهم أفكار أو إقتراحات أو معلومات تقدم حلول فعالة ومبتكرة للعملاء .

2- نظام العمل الفعال والذي يتيح إمكانية ترجمة المعرفة الى ممارسات واقعية ومفيدة للمنظمات فالمعرفة بدون تطبيق ليس لها أى جدوى .

3-العملاء الذين لديهم القدرة على تقديم معلومات وأفكار للمنظمة تضعها في القمة.

لذا فحتى تستثمر المنظمة رأس مالها الفكرى أفضل إستثمار فمن المفترض أن تشجع عامليها وتحفزهم على تقديم أفكارهم وتسهل عملية تبادل المعلومات فما بينهم من جهة وبينهم وبين الإدارة من جهة أخرى وأن توفر لهؤلاء العاملين المناخ الذى يمكنهم تقديم معلوماتهم وأفكارهم بحرية كاملة .

ثالثا: أهمية رأس المال الفكرى للمصارف الإسلامية

هناك العديد من العوامل التى تستوجب من المصارف الإسلامية تنمية وتطوير راس المال الفكرى لخدمة أهدافها الإستراتيجية، منها:¹⁰

1. تطوّر حجم الصناعة المصرفية الإسلامية:

تشير التقارير والإحصائيات أن كافة المؤشرات المتعلقة المصارف والمؤسسات الإسلامية ستواصل نموها وارتفاعها بدءا بعددها الذي يُقدر وصوله إلى 800 مؤسسة، وكذلك عدد العاملين فيها الذي يُتوقع أن يصل نصف مليون موظف، إضافة إلى إجمالي أصولها الذي قد يصل إلى أكثر من 3 تريليون دولار، وكل هذه التقديرات حُصّنت لسنة 2015. وهذا الانتشار غير المسبوق للمصرفية الإسلامية برزت معه متطلبات وتحديات عديدة من بينها أن هذا التوسّع والانتشار يتطلّب موارد لتحقيقه على أرض الواقع لعلّ أبرزها وأهمّها توفر العنصر البشري المؤهل والمدرك لمفاهيم الصيرفة الإسلامية، وهذا المورد يتطلّب توفير قاعدة معرفية حول أساسيات العمل الإسلامى وبناء قوّة عمل مسلّحة بالمعرفة الشرّعية والمصرفية لتقديم أفضل خدمة للعملاء والمستثمرين.

9 شويح محمد ،دور الرأس المال الفكرى فى تنمية المنظمات، متاح

فى: <http://www.chouihmohamed.com/?p=90>

¹⁰ زيتوني عبد القادر ،دربالي سهام، رأس المال الفكرى، الحاجة الفعلية للمصارف الإسلامية فى ظل اقتصاد المعرفة، المؤتمر العالمى التاسع للاقتصاد والتمويل الإسلامى: النمو، العدالة، الاستقرار: من منظور إسلامى، اسطنبول، تركيا: 9-10 سبتمبر 2013، ص

2. المنافسة القوية:

تجلّت أبرز مظاهر المنافسة بين المصارف الإسلامية والمصارف التقليدية في إقدام الأخيرة على تقديم منتجات متوافقة مع الشريعة الإسلامية وهذا بسبب تنامي الطلب على تلك المنتجات، فافتتحت أقساماً وفروعاً خاصة بذلك حتى تجذب إليها شريحة جديدة من العملاء ممن يفضلون التعاملات المصرفية الإسلامية، إضافة إلى ذلك لا يمكن أن تغفل أهمية المنافسة بين المصارف الإسلامية وبين بعضها البعض، فهذه العملية تقود في النهاية إلى النهوض بالعمل المصرفي الإسلامي وسمعته طالما أن كل مصرف إسلامي يحاول أن يحسن مكانته ويرضي عملاءه من خلال تقديم خدمات مصرفية إسلامية ذات جودة عالية. هذا كلّه يزيد من الضغط على المصارف الإسلامية لتزيد من قدراتها التنافسية، لذلك عليها أن تتجه نحو تعزيز قدرات مواردها البشرية وتؤهّلها لتقديم خدمات مصرفية غاية في الجودة على كافة المستويات وعلى رأسها العلم بمقاصد الشريعة فيما يخص العمل المصرفي الإسلامي، إذ يجب أن تبني لها قوّة فكر جماعية ومتميّزة تدعم أهدافها التنافسية من خلال كسب عملاء جدد والحفاظة على علاقات المصرف مع عملائه الحاليين.

3. التطوّرات التكنولوجية والاقتصادية:

لسنا بحاجة لشرح مطول لندرك حقيقة التطور التكنولوجي والعلمي والاقتصادي الذي يشهده العالم فيكفي ما يقال عنه أن الثابت الوحيد فيه هو التغيير، وأي منظمة يجب أن تتسلح بما يمكنها من مواجهة التغيير الذي يحصل على كافة المستويات، وليس ضخامة مواردها المالية وسوقها المتسع ومكانتها بالذي يُنجيها من كارثة قد تحلّ بدارها لأن ذلك قد ينضب بسرعة البرق، ولكن سفينة نجّاتها أن تنشر وعياً وإدراكاً وترقي كادراً بشرياً يملك من المهارات والمعارف والخبرة الميدانية ويؤمن بثقافة منظّمته وقيمها ويحترمها ما يجعله قادراً على التكيف ومواجهة أي تغيير يطرأ تكنولوجياً كان أو اقتصادياً واستيعابه خدمة لأهداف المنظمة، وهذا بالضبط ما يجب أن تعيه وتدرّكه المصارف الإسلامية.

4. خصوصية المعرفة الإسلامية:

إنّ ما يميّز العمل المصرفي الإسلامي هو إسلامية الكيان، فهو يتطلب الالتزام بمبادئ وأحكام الشريعة الإسلامية المبنية على ثلاثية العقيدة والأخلاق والفقّه وهذه الثلاثية يجب أن تنعكس في تصرفات العاملين في المصارف الإسلامية، فالعمل الإسلامي له خصوصية وأسس تختلف عن تلك التي يقوم عليها النظام المصرفي التقليدي كتحرّيم التعامل بالفائدة المصرفية ومبدأ المشاركة في الربح والخسارة إضافة إلى هدف التنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع، وبالتالي يجب أن يكون التوجّه على هذا الأساس بحيث يجب على المصارف الإسلامية أن تحرص جاهدة على ضمان توافر المعرفة بالضوابط الشرعية وفهمها من قبل الموارد البشرية العاملة فيها، وهذا ما يجعلنا نقول أنه يجب تنمية مهارات وقدرات تلك الموارد البشرية في إطار رسالة العمل المصرفي الإسلامي.

5. الحاجة إلى تطوير منتجات مصرفية إسلامية جديدة:

إنّ الابتكار والإبداع مطلبان أساسيان لبناء ميزة تنافسية مستدامة لأي منظمة أعمال، وقد يقول قائل أن المنتجات في المصارف الإسلامية واضحة ومعروفة وليس لأحد من الموظفين فيها أن يبتكر شيئاً جديداً، عليه فقط الاهتمام بتطبيق ما هو موجود من خدمات، وكأنّ الصيرفة الإسلامية وصلت حد التشبع ولا مجال لابتكار المزيد من منتجاتها، وهو أحد أبرز التحديات للصناعة المالية والمصرفية الإسلامية . لكن بإمكان المصارف الإسلامية تطوير الأدوات المصرفية الإسلامية القائمة واستحداث الجديد منها بغية حشد المزيد من الموارد، وإيجاد قنوات جديدة لتوظيفها وبشكل يغطي احتياجات الأفراد ويتوافق مع متطلبات العصر ويمكن للمصارف الإسلامية محاكاة بعض المنتجات المصرفية التقليدية وتعديلها وفق أحكام الشريعة بحيث يجوز تطبيقها على أرض الواقع فالنبي صلى الله عليه وسلم قبل منتجات تعامل بها أهل الجاهلية بعد أن عدلّ منها ما تطلب تعديله ، وشرّع من قبلنا شرّع لنا إن لم يخالف شرعنا. وسواء كان المنتج المطور ابتكاراً أو محاكاة لآخر تقليدي باستطاعة المصارف الإسلامية أن تعزّز القدرات الإبداعية والابتكارية للعاملين فيها من خلال العمل على تطوير معارفهم ومهاراتهم في كافّة المجالات، وفي هذا السياق يشير أحد الدارسين في جامعة موناخ الأسترالية قائلاً "يتطلب على الصيرفة الإسلامية، التي تنمو 25% سنوياً، ضخ جزء من استثماراتها لتطوير مواردها البشرية" لأنّ المواهب تعدّ بمثابة محرّك الإبداع نحو ابتكار وإنشاء منتجات إسلامية مستقبلية لإخراج هذه الصناعة من النقص الحاد الذي تعانيه بهذه المنتجات

6. إساءة استخدام المصرفية الإسلامية:

تحتاج المصارف الإسلامية لبناء قاعدة فكرية واضحة المعالم والتفاصيل سواء لعاملها أو عملائها لأن هناك حقيقة ذكرتها عدة أبحاث ودراسات وهي أنه قد يقع سوء فهم لمقاصد الشريعة بخصوص تعامل مصرفي أو مالي ما وبالتالي يسوء استخدام بعض المنتجات المالية الإسلامية فتتحرف عن إسلاميتها وشرعيتها بحكم قربها ربما أو تشابهها مع منتجات ربوية، وهذا يرجع طبعاً إلى النقص الواضح في إدراك العاملين لمبادئ العمل المصرفي الإسلامي إمّا لخلفيتهم وخبرتهم الربوية أو لنقص الخبرة العملية والتطبيقية لأداء العمل، فتجد من العاملين من لا يفرق بين المراجعة والقرض الربوي مثلاً، لذلك اكتساب الموظف في المصرف الإسلامي للمعرفة العملية والتطبيقية وتوفرها في كل وقت أمر حتمي لا نقاش فيه.

7. ظاهرة التحوّل نحو المصرفية الإسلامية:

لم يعد العمل المصرفي الإسلامي مقتصرًا على المصارف الإسلامية فحسب بل تجاوزها ليتم تقديمه من طرف بعض المصارف التقليدية، فكانت بذلك ظاهرة تحول هذه الأخيرة نحو النشاط المصرفي الإسلامي سواء بشكل كلي أو جزئي، وعرفت هذه الظاهرة انتشاراً واسعاً من المنطقة العربية إلى مصارف في شتى أنحاء العالم. وأياً كان الدافع وراء انجذاب المصارف التقليدية

نحو المصرفية الإسلامية إلا أن العملية تتطلب دراسة وجهداً كبيرين حتى تنجح وتحقق أهدافها، ومن بين التحديات التي واجهتها عملية التحول هو كيفية تدريب العاملين وتنميتهم وتحفيزهم نحو العمل المصرفي الإسلامي ، فالأساس في التحول هو وضوح الرؤية لدى إدارة المصرف التقليدي والعاملين فيه وبالتالي فإن نقطة الانطلاق نحو التحول تمس فكر الأفراد واقتناعهم بالفكر الجديد أي الفكر الإسلامي.

الخلاصة:

يجب على إدارات المصارف الإسلامية أن تبني توجهها نحو بناء قوة عمل مؤهلة بكل ما يخدم رسالة العمل المصرفي الإسلامي، وأولى خطوات ذلك التوجه هي العمل على تطوير وبناء رأس مال الفكري، فالاهتمام بتطوير رأس المال الفكري في المصرفية الإسلامية يؤدي بها إلى:

- زيادة القدرة الإبداعية للمصارف الإسلامية.
- جذب العملاء و تعزيز ولائهم للمصارف الإسلامية.
- تعزيز القدرة التنافسية للمصارف الإسلامية.
- خفض التكاليف و إمكان البيع بأسعار تنافسية.
- تحسين الإنتاجية كما و نوعاً للمصارف الإسلامية.
- الحاجة إلى إعطاء جهود التنمية البشرية والتدريب في المصارف الإسلامية مضموناً استراتيجياً، يلي احتياجات تنمية طاقات الإبداع والتعلم المؤسسي في جانب، وقيمة رأس المال المعرفي للمجتمع ومؤسساته في جانب آخر.
- يجعل المصارف الإسلامية تتأقلم مع مستجدات العولمة بدون حساسية و بأقل تكلفة ممكنة.
- يعمل على استغلال و توظيف الأرباح المحققة للتمويل المحلي و توسيع نشاط المصارف الإسلامية.

وتتجلى إذا أهمية رأس المال الفكري في كونه أصبح دعامة تطور للمصرفية الإسلامية ونمائها، فكلما ازدادت معدلات المعرفة لدى الموظفين زادت قدراتهم العقلية و الإبداعية، و هو ما يشكل ميزة تنافسية، بعد ما تبين تفوق العنصر غير الملموس لقيمة التكنولوجيا المتقدمة على القيم الحقيقية لموجوداتها الحسية كالأبنية و المعدات، من هذا المنطلق جاء التركيز على رأس المال الفكري باعتباره استراتيجية للتحول إلى صناعة أكثر تطوراً.

و يكون ذلك من خلال:

- تحفيز عمليات البحث العلمي والتطبيقي المرتبطة بالمنتجات المصرفية الإسلامية ، وانشاء نظام خاص يقوم به الاختصاصيون بتقديم الخدمات الإرشادية للتغلب على العقبات التي تواجه تطويرها.

- عدم اعتبار المؤسسات المصرفية الاسلامية كيانات منفصلة بل هي جزء من مجموعة مترابطة ذات علاقات متداخلة من التعاون والتنسيق فيما بينها.
- ضرورة إنشاء مراكز اعتماد التدريب الاسلامي لرفع المستوى المهني للعاملين في الصناعة المالية الاسلامية من خلال وضع المعايير والقواعد التي تحكم خدمات التدريب والاشراف على اعتماد كل من المدربين والبرامج التدريبية والهيئات القائمة على أعمال التدريب بالاضافة الى تقديم برامج ودورات وندوات متعددة في مجال تطوير المنتجات الاسلامية وتسويقها والاشراف عليها

كما أن أهم الجوانب التي يجب أن تهتم المصارف الاسلامية لتنمية رأسمالها البشري هي :

1. إستقطاب أفضل المواهب البشرية : أي أن تكون المصارف الاسلامية ذات نظام فعال في عملية الإختيار ، الإختيار وإستخدام العاملين الجدد وتوفير أسس التعلم ونقل الخبرة بين الأجيال المتعاقبة من العاملين .
2. إغناء رأس المال البشري . وذلك يتم من خلال تشجيع العاملين وتحفيزهم على الإنضمام لبرامج التدريب وتشارك المعرفة وإكتسابها وتوزيعها داخل المصارف الاسلامية .
3. المحافظة على العاملين المتميزين : ويتم ذلك بتوفير نظم وأساليب الإدارة القائمة على الثقة وتشجيع الإبداع والأفكار الجديدة .
4. إيجاد بيئة التعلم : تتميز الشركات المعرفية بأن رأسمالها في عقول العاملين الذين يغادرون الشركة في نهاية اليوم والذين يمكن أن تستقطبهم شركات منافسة أخرى ولذلك لابد من إيجاد أسس لتقوية وترسيخ قواعد الولاء في المصارف الاسلامية .

ولهذا اذا اردنا التقدم فلا سبيل سوى قيام مؤسسات مالية اسلامية تقوم في الأساس على استغلال رأس المال الفكرى باعتباره اهم أصول قيام ونمو المؤسسات لهذا فإنني أوصى بما يلي :-

1. ضرورة تفعيل مفاهيم رأس المال الفكري ضمن الهيكل التنظيمي للمؤسسات المالية والمصرفية الاسلامية وكذلك تطوير الهياكل الحالية وفقاً لمفاهيم ووظائف إدارة الموارد البشرية كفلسفة وليس كإجراءات، ما يساعد على تشجيع الأفراد على الابتكار والإبداع عن طريق إفساح المجال أمامهم لتقديم أفكاره ابتكاره تهدف إلى التميز والتفوق .

2. تطوير وإعداد الخطط الاستراتيجية للمؤسسات المالية والمصرفية الاسلامية كي تستوعب مفاهيم وقيم وأهداف رأس المال الفكري والحرص على مشاركة المديرين في كافة المستويات في صياغتها .
3. تبني نشر مفاهيم وثقافة إدارة المعرفة وقيم رأس المال الفكري من خلال ورش عمل وحلقات نقاشية على أن يتم الإسراع في تنفيذ ذلك من أجل الارتقاء بالأداء .
4. التواصل مع وسائل الإعلام المختلفة لنشر ثقافة إدارة المعرفة ورأس المال الفكري من خلال تشجيع المؤسسات والأفراد على ضرورة استيعاب مفاهيمه ومكوناته وطرق قياسه .
5. استقطاب المواهب والكفاءات المتفوقة مع رعاية هذه الكفاءات عن طريق وضع برامج للاحتفاظ بهم والمحافظة عليهم وذلك لخلق بيئة ابتكارية تدعم القدرات التنافسية .
6. وضع الإطار العلمي والعملية لتطوير وإدارة المواهب وصياغة النظم الكفيلة لتحقيق التميز المؤسسي لتنمية وتطوير المواهب على كافة المستويات ما يساهم في تعظيم رأس المال الفكري.

المراجع:

- 1- زيتوني عبد القادر، دربالي سهام، رأس المال الفكري، الحاجة الفعلية للمصارف الإسلامية في ظل اقتصاد المعرفة، المؤتمر العالمي التاسع للاقتصاد والتمويل الإسلامي: النمو، العدالة، الاستقرار: من منظور إسلامي، اسطنبول، تركيا: 9-10 سبتمبر 2013.
- 2- سلام عبد الرزاق، بوسهوه نذير، دور رأس المال الفكري في تحقيق الميزة التنافسية للمؤسسات الصغيرة والمتوسطة، ملتقى استراتيجيات التنظيم ومرافقة المؤسسات الصغيرة والمتوسطة في الجزائر، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، 18 و 19 أفريل 2012.
- 3- شويح محمد، دور الرأس المال الفكري في تنمية المنظمات، متاح في: <http://www.chouihmohamed.com/?p=90>
- 4- صلاح هادي الحسيني، القيادة الإدارية وأثرها في إدارة الموارد البشرية استراتيجياً دراسة ميدانية في المنظمات الحكومية في محافظة الناصرية /العراق، رسالة مقدمة إلى مجلس كلية الإدارة والاقتصاد في الأكاديمية العربية في الدنمارك وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الماجستير في إدارة الأعمال، 2009.
- 5- فارس مسدور، معايير اختيار العاملين لدى البنوك الإسلامية، متاح في <http://www.giem.info/article/details/ID/356#.UnIfGidQhug>
- 6- فاطمة على الربابعة، مستويات رأس المال الفكري في منظمات الأعمال: نموذج مقترح للقياس والتطبيق، مجلة النهضة، المجلد الثالث عشر، العدد الأول، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية جامعة القاهرة، مصر، يناير 2012، متاح في: <http://www.feps.edu.eg/en/publications/nahda/vol13/issue1/fatma.pdf>
- 7- عبد الستار حسين يوسف، دراسة وتقييم رأس المال الفكري في شركات الأعمال، قسم إدارة الأعمال، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، جامعة الزيتونة الأردنية، عمان، الأردن، 2005.
- 8- عبد الرحمان بن احمد هيجان، رأس المال الفكري استراتيجيه التحول من الفئه العامة إلى الفئه المميزه، 1427 هـ، متاح في: <http://abufara.net/index.php/2012-10-21-10-56-42/2012-10-21-10-57-16/33-2013-07-21-15-36-02/8-0000056>